القـريـن

من المسكوت عنه من قصص القرآن...

بقلم احمد الجوهري عبدالجواد

المسكوت عنه من قصص القرآن

تكمن بين سطور القصص القرآني المتعة والفائدة والعظة، ولهذا أولى القرآن ذلك اللون من الحديث اهتمامًا كبيرًا، وقد كتب الأولون والآخرون عن قصص القرآن الكريم مبرزين العظات التي اشتملت عليها والدروس والفوائد التي حوتها والمتعة التي جاءت فيها فشارفوا على الغاية في ذلك..

وتبقى هنالك قصص بين السطور.. لم يتعرض لها أحد فيما أعلم.

وسأعمل على نشر بعض هذه القصص بأسلوب (الحكي) هنا، ناظمًا خلال ذلك الفوائد والعظات والمتعة تلك التي لا تجدها مجتمعة في أزهى أشكالها في غير قصص القرآن الكريم.

القـريـن!

نحن الآن في ساحة الحق..

قد قام كل واحد من الحضور بواجبه أو فرط، مضت الآن المهلة التي كانت أعطيت لهم لأداء وظائفهم.

الكل الآن ينتظر الجزاء.. فبعض فرحين ينتظرون المثوبة وهؤلاء هم الذين أدوا أعمالهم كما طلبت منهم، وآخرون وجلين ينتظرون العقوبة لأنهم أهملوا ما أسند إليهم من مهام.. فيا ترى كيف سيكون الحكم فيهم.

فجأة نادى مناد من قبل الملك: تمايزوا؛ كل واحد يصطف مع من هو على شكله!

انصاع الجميع للأمر وذهب كل واحد منهم إلى الجهة التي لا ينكر من نفسه أنه ينتمي إليها، فصاروا فريقين: فائزين وخاسرين..

بقوا على ذلك مدة طويلة..

أخيرًا أمر بهم فجاءهم حراس كثر أرشدوهم إلى أماكنهم التي يستقرون فيها..

كان الحراس كذلك فريقين، بعضهم يبتسم والآخر عابس، فذهب الأولون إلى الأولين وبقي الآخرون مع الخاسرين!

وحانت ساعة توزيع الجوائز..

يا لها من ساعة مرت على صاحبنا وهو يتذكر تلك الأحداث؛ لا يصدق نفسه كيف مرت عليه تلك اللحظات وانتهت به أن كان من الفائزين المنعمين؟

خطر هذا كله على باله حين كان مع زوجته وأبنائه على الطعام الشهي اللذيذ الذي لم تر عينه مثله من قبل، وقد ازداد طعمه حلاوة بامرأته التي لو أطلت بوجهها لأضاءت ما بين السماء والأرض، أي نور وجمال في وجهها، وإنها لتزداد نورًا وجمالًا كلما فارقها وعاد إليها ولو لحظات!

كم هو في نعمة يغبط نفسه عليها بين هذه المتع الكثيرة المتنوعة الأبدية الخالدة التي لن تنتهي..

قرر أن يكون موضع السَّمَر مع أصدقائه الليلة عن هذا الخاطر الذي داعب خياله اليوم.

أخيرًا أراد أن يقوم عن هذا الطعام الذي لا يمل تناوله ولا تريد نفسه أن يتركه، وحول نظره إلى الحوراء النجلاء ذات الكحل والملاحة والحسن والبهاء وتبسم قائلًا: شبعت ليرفع الطعام، فأشارت بابتسامة من طرف عينها لوصيفات كثر حولها، فشرعن يشرن إلى الطعام فيرتفع أو كأنهن أشرن إليه.

بينما هو يتأمل اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي الذي يشع من وجه الحسناء التي أمامه داعبه الخاطر مرة أخرى فاستأذنها بلطف:

كاملة الأوصاف وجميلة النعوت! سأجتمع ببعض أصحابي ساعة وأعود!

مالت عليه الغادة الحسناء بتودد وتحبب وهمست في أذنه: مرحى، لك طبعًا كل ما تشاء، وأنا هنا أنتظرك بأشواق.

لله، ما جمعت تلك الخيرة من المحاسن ظاهرا وباطنا، فكمل خَلْقها وخُلُقها، وكما يحار فيها الطرف أين ينظر، يحار كذلك العقل بأي محاسنها يعجب..

ثم انطلق يسعى بعد نظرات وخفقات ولمسات، لذلك اللقاء الذي أعد هو فكرة حواره الليلة ومحور حديثه..

انطلق صاحبنا للقاء ندمائه في الجنة، على موعدهم المنتظر للهو والسمر، وحينما وصلت به سيارته الفارهة إلى هناك وجدهم يتوافدون في مواعيدهم، كل بسيارته ومركبته فمن راكب على نسر عملاق ومن راكب فرسًا له أجنحة يطير به أو يمشي على الأرض ومن راكب طائرة أو حوامة خاصة تسير أحيانًا وتطير أحيانًا كل وما يشاؤه، وكل ذلك من جواهر نفيسة، أدومها وجودًا، وأنصعها لونًا، وأصفاها جوهرًا، وله سرعة حركة، وسرعة انتقال تفوق كل ما يتصوره الإنسان.

دلفوا جميعًا إلى غرفة فسيحة رائعة النقوش، لم ير مثلها قط، في هندستها وبنيانها وزخرفتها وهوائها فجلسوا على الأرائك بخفة ولطافة، وتوالت عليهم الثمار الطيبة اليانعة يقطفونها من أشجار تتدلى عليهم وتدنوا منهم، فيتناولون منها ما يشتهون يأكلونه تنعمًا وتلذذًا.

وبينما هم يرحب بعضهم ببعض ويتصافحون.. بادر صاحبنا فقال: عندي لكم اليوم موضوع سمر رائع، لفت كلامه الأسماع فبادرته العيون مبتسمة تشجعه على الكلام، وخرجت كلمات من هنا وهناك تستحثه على المضي في الكلام، أن أفصح عن ما عندك وسارع به فلك كل الأسماع والألباب.

انطلق يقول: تعالوا بنا نتحدث بأي عمل أورثنا الله هذا النعيم وكيف وصلنا إلى هذا الفوز العظيم، هل يذكر أحد منكم السبب الذي لأجله دخل الجنة؟

فقالوا جميعًا: نعم.. وابدأ أنت فكن قدوتنا في ذكر ذلك ونحن نتبعك.

صمت لحظة عاد خلالها إلى مرحلة مضت من حياته سافر بخياله هنالك بعيدًا يوم كان يعيش في الدنيا، وهو يتذكر اللحظات كان يعيشها، كأنها تحدث معه في هذه الساعة.

ثم التفت إلى أصحابه يقول: حينما كنت في الدنيا كان لي صاحب يقارنني في السن ويجاورني في البيت وقد نشأنا معًا وتربينا معًا، لكنه كان على غير الجادة، فلم يكن يصلي ولم يكن يلتزم الدين، وكنت أحدثه في ذلك فأجد من كلامه ما يزعجني جدًّا حتى إنه كان ينكر البعث بعد الموت، ولطالما تحاورنا حول هذا الأمر فكانت كلماته تسبق كلماتي كأنه يسكتني حتى لا أتكلم.

وليس هذا فحسب، بل كان يراني على الخير فينهاني عنه، إن رآني أتصدق قال: لماذا تضيع مالك؟

وإن رآني أتفرَّغ لعبادة ربي ساعة قال: لم تضيع وقتك فيما لا فائدة منه؟

وهكذا لقد كان يستهزئ بالدين ويقول إننا إذا متنا سنصير إلى عدم، ولن نبعث بعد الموت مرة ثانية، فيستحيل أن يعيدنا الله بعد ما صرنا ترابًا إلى الحياة مرة أخرى، فهذا شيء بعيد جدًّا ولا يصدق!

لقد كنت أجتهد في إقناعه وأسوق له من الدلائل القوية والحجج الكبيرة على ذلك الشيء الكثير مما نراه ونحسه من حولنا، فهذه المظالم وهذه الابتلاءات التي يتعرض لها بعض الناس من الطغاة والمتجبرين هل يمكن أن تمر هكذا؟

ألا من يوم يعاقب فيه الظالم ويعوَّض فيه المظلوم؟ هذا هو المستحيل حقًّا، ومن أراد أن يقنع نفسه أو غيره بهذا فإنه يدلس على نفسه الحقائق ويقلب الأمور على الوجه الذي لا تصح عليه في العقل السليم.

وحين وصلت إلى أنه لم يعد يستمع مني إلى الكلام تركته وابتعدت عنه حتى لا تصيبني أفكاره بالسوء، ولئلا يعطلني عن طريقي.

لقد انتهى الأمر به إلى الموت على اعتقاده ذاك رغم نصح الناصحين له، فكان من الخاسرين، وقد علمت أنه ذهب إلى الجحيم، ثم بدر إلى ذهنه خاطر عجيب فحدث به قائلًا: ألا نرجو ربنا عز شأنه أن يطلعنا عليه الآن في النار لنرى ما أوصله إليه إلحاده وكفره ذاك؟

وكانت فكرة مبدعة جذابة فوافقوا جميعًا على ذلك.

ما إن ورد الخاطر على أذهان النبلاء الأكرمين إلا وانفتحت طاقة في الغرفة

وقيل لهم: انظروا هنا، اطلعوا!

فاتجهت أنظارهم نحو المكان الذي يشار إليهم فيه وإذا هو النار بسعيرها وحرّها، فشدهت أبصارهم لهول ما يرون من عذاب أهلها وما يقاسون فيها، وأدركوا نعمة ربهم عليهم إذ أنقذهم منها، وظلوا يتأملون ويحمدون، لا تكف ألسنتهم عن قول: ربنا لك الحمد.

كانت الطاقة تدور على أهل النار تكشف فريقًا منهم بعد فريق وكان صاحبنا معلقًا نظره بالأشخاص يبحث عن صاحبه، حتى إذا مرت الطاقة من فوقه ظهر له ولاح، لقد كان في أصل الجحيم وسوائه في قعر جهنم هنالك وأسفلها، ولولا أن الله عرفه إياه ما عرفه، لقد تغير شكله ولونه وتبدلت أحواله، لم يعد بتلك النضرة والقوة التي كان عليهما في الدنيا لم يعد له ذلك الشباب والجمال وحسن الهندام والغنى والمال والحشم والخدم والعيال الذين أضلوه عن رؤية الحقائق وشغلوه عن الاعتبار بالدلائل!

فأول ما وقع نظره عليه ناداه: يا فلان!

فنظر صاحبه إليه مشدوهًا لا يكاد يصدق أو يذكره أحد فيناديه؟ ثم رفع بصره حيث الصوت

فجاءته كلمات صاحبنا تحمل كل معاني العتب واللوم: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب.

ثم قال في امتنان: ولولا أن الله أنعم عليّ بهدايته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنتُ من المحضَرِين معك في عذاب الله!

يا هذا؟ ما قولك الآن؟ أفما نحن بمبعوثين، أما هنا آخرة، أما هنا نعيم لمن كذب ونعيم لمن صدق؟

الآن نعم، لا موت، فأنت فيما أنت فيه وأنا فيما أنا فيه، فالحمد لله الذي ثبتنا على الخير، وأذاقك جزاء كذبك وافترائك على ربك وإضلالك لمن أضللتهم ممن كنت تزين لهم الكفر والإلحاد.

وإن هذا الذي أعطاناه الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذب ولا نموت لهو النَّجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا، فالحمد لله.

ولمثل هذا الذي أعطاني الله تعالى وأصحابي هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، كنا نعمل في الدنيا، لندرك ما أدركنا بطاعة ربنا فلك الحمد ربنا.

هتف الجميع: لك الحمد ربنا، لك الحمد ربنا.

وانطلقت هنالك أصوات قبيحة تصرخ: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، وصرخ الصديق الملحد على صديقه المؤمن: أفض علي من الماء أو مما رزقك الله.. وتوالت الصراخات، فتباعدت الطاقة حتى لا تؤذي الصرخات أسماع المكرمين وقلوبهم، وابتعدت المسافة ثم غابت الطاقة وغاب المشهد، وعاد المؤمنون يكملون سمرهم العذب ويتنعمون بنعيمهم الأبدي.

تمت